التناص الديني في آثار ابي زيد الفازازي
(نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته)

Religious Intertextuality in the Effects of Abi Zayd Al-Fazazi
(Literary texts of the seventh century AH compiled by some of his students during his lifetime)

أ.م. د. صفاء حسين لطيف

Safaa Hussain Lateef

م. اسراء مهدي شهيد

Israa Mahdi Shaheed

جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

University of Karbala \ College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية : التناص، التناص الديني، ابو زيد الفازازي.

Keywords: Intertextuality - Religious Intertextuality - Abu Zaid Al-Fazazi.

الملخص:

ولدت في الساحة الأدبية النقدية الغربية مصطلحات عدة لاقت رواجا وانتشارا في الساحة النقدية العربية كما شهدت اقبالا كبيرا في الوسط الاكاديمي والبحوث العلمية ومن المصطلحات التي تهافت الباحثون عليها وعلى تطبيقها في الحقل الادبي العربي بكل أقسامه (التناص) الذي انتقل بتطبيقاته كلها الى المحفل النقدي العربي.

ومن هنا انبثقت فكرة هذا البحث وتبلورت لتتناول التناص الديني في اثار ابي زيد الفازازي الذي يشكل التناص الديني رافدا مهما في نتاجه الادبي (شعرا ونثرا)، وهذا ما تجدر الاشارة اليه واظهاره الى الساحة الادبية فضلاً عن الدراسات التي تناولت ابي زيد الفازازي قليلة.

فالتناص كان مبثوثا في ثنايا رسائله واشعاره التي جمعها عدد من تلاميذه في حياته وقد تشكل التناص بشكل مباشر وغير مباشر فضلا عن الاشارة الى الوقائع والاحداث ذات البعد الديني التي تعد من الظواهر الدينية البارزة في تاريخ الامة الإسلامية.

Abstract

Several terms were born in the Western literary criticism arena that became popular and widespread in the Arab monetary arena. It also witnessed a great demand in the academic community and scientific research. Among the terms that researchers flocked to and applied in the Arab literary field in all its sections (intertextuality)، which moved all its applications to the Arab Critical Forum.

Hence the idea of this research emerged and crystallized to deal with religious intertextuality in the traces of Abi Zaid Al-Fazazi، which constitutes religious intertextuality as an important tributary in his literary production (poetry and prose)، and this is what is worth mentioning and showing it to the literary arena، in addition to the few studies that dealt with Abi Zaid Al-Fazazi.

Intertextuality was spread in the folds of his letters and poems that were collected by a number of his students during his life. Intertextuality was formed directly and indirectly، in addition to nine references to facts and events of a religious dimension، which are among the prominent religious phenomena in the history of the Islamic nation.

المقدمة

تعد المصطلحات النقدية الغربية رافدا حديثا أفادت منه المدونة النقدية العربية و من المصطلحات النقدية الحديثة التي اثرت الساحة النقدية العربية (التناص)؛ لانه لاقى استحسانا وتقبلا في الدراسات العربية النظرية والتطبيقية، والاساس الذي يقوم عليه التناص هو عدم استقلالية النص بذاته بل هو قوام وشكل جديد مجموعه نصوص تضافرت والتحدث فيما بينها وتبلورت لتنتج لنا عنصرا جديدا وهذا النص استمد افكاره من هذه النصوص، فضلا عن اخذه من اساليب النصوص التي تكون منها، وهذا الاخذ يكون متفاوتا من نص الى نص آخر، وكل هذا الاخذ يعتمد على الثراء الفكري والثقافي والمعرفي لمنتج النص.

والنصوص التي يمكن تطبيق التناص وآلياته عليها كثيرة، لكن الجدة والابتكار تكون باختيار متن أدبي حافل يشكل التناص فيه أولا، وندرة هذا المتن لقلة تداوله من جهة؛ لأنه يمثل جانبا مهما في تصوير سمات العصر الذي نشا فيه فكريا وعقائديا، وهذا ما دفعنا لاختيار آثار أبي زيد الفازازي (وهي نصوص أدبية من القرن السابع الهجري جمعها بعض تلاميذه في حياته) ولم يتم تسليط الضوء عليها الا قليلا ومن قبل بعض الباحثين. ولان أبا زيد الفازازي شخصية جمعت بين السياسة والثقافة الدينية واللغوية والزهد والابداع الادبي.

وإنَّ آثاره هذه التي هي محور الدراسة تقدم لنا بعضا من أدبيات الصراع الفكري في القرنين السادس والسابع بين الفقهاء والمتصوفة والمحدثين من جانب و بين الفلاسفة والملحدين واهل البدع من جانب آخر.

وكان من اهم خصائصها الفنية مقدرته العالية على الافادة من التراث وتوظيفه في آثاره فتولت فكرة دراسة التناص الديني عنده معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي.

وقد تم تقسيم البحث على مبحثين:الأول:مدخل موجز عن التناص مع التعريف بأبي زيد الفازازي والمبحث الثاني: تناول الجانب التطبيقي للتناص الديني في آثار أبي زيد الفازازي يتبع ذلك خاتمة لاهم نتائج البحث ومصادره.

التمهيد (حياته، نسبه، وفاته)

هو عبد الرحمن بن يخلفتن بن سعيد بن احمد بن تفليت الفازازي، كني بأبي زيد القرطبي، عرف بالفازازي نسبة الى أصله الذي يعود الى يخفش الموجود فيها جبل فازاز وهم من زناته من اكبر القبائل البربرية في شمال افريقيا في المغرب[1].

ولد بعد الخمسمائة وخمسين للهجرة في مدينة قرطبة وقيل إنه نشأ في مراكش[2]، وصلت إلينا معلومات غير دقيقة ومؤكدة عن الشاعر والاديب الفازازي الا ما ورد عن ابن الابار الذي عاصر الشاعر وعمد الى زيارته مرتين في اشبيلة سنة 626هـ لذا اعتمد المؤرخون وأصحاب التراجم على رواية ابن الابار ولم يلتفتوا الى رواية ابن الزبير

الذي نقل أخباره أيضا وذلك لأنّ زيارة ابن الابار للأديب كانت قبل ولادة ابن الزبير (ولادته 627)، كما نقلت أخباره أيضا على يد عبد الله التجيبي (ت610)[3].

حفظ القرآن الكريم واتجه الى دراسة مختلف العلوم، وأخذ عن التجيبي* الأربعين حديثا التجيبية من جمعه.

انتقل الفازازي من تلمسان الى فاس، راسل اصدقاءه التلمسانيين بأسلوب وقدر من الادب الرصين لايصدر عن فتى بصغر عمره، منه قوله :

" كتبت دامت كرمة سيدي الفقيه، والاخ الذي افديه بالنفائس وأفيه،.... من حضرة فاس – حرسها الله – والحال جميلة صالحة، والطاف المولى سبحانه غادية رائحة" [4]

ثم انتقل الى الاندلس يطلب العلم ويكتب للولاة أحيانا، ألف مجموعات شعرية ونثرية ذات طابع ديني ثم انتقل الى اشبيلة وبعدها انتقل الى قرطبة ومن ثم الى مالقة وغرناطة،اخذ عن السهيلي (ت 581)، وابن الفخار (ت590) عرف عنهما برزوهما في الحديث والفقه، وأخذ عن أبي الحسن الصائغ وابي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي وابي الصبر السبتي وأبي الحسن بن احمد القرشي التاريخي.

كتب اديبا لابن الحجام مجالس وعظ يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع. توفي بمراكش (627) هـ.

التناص عند الغرب والعرب.

وصل الينا مصطلح التناص من الحقل النقدي الغربي وتعد جوليا كريستيفا رائدة هذا المصطلح وصاحبة الوضع الأول لهذه التسميه، وقد افادت كريستيفا من حوارات باختين وتعدد الاصوات علاقة النص بسواه من النصوص[5].

وهذا كله يعد من الضوابط المهمة التي استندت عليها كريستفا في معرفة مميزات النص الاساسية وهي بدورها تحلله الى نصوص أخرى سابقة له او معاصرة[6].

ومن هذا المرتكز تعد كريستيفا (التناص) ظاهرة اعتيادية على طول التاريخ الادبي وهو يتمظهر في النصوص الحديثة بشكل جوهري لا غنى عنه، لأن صناعة النصوص الحديثة تكون على انقاض النصوص القديمة من خلال الهدم الحاصل فيها او النصوص التي تعاصر النص الجديد امتصاصا أو احترازا[7].

كما انها تؤكد ضرورة النظر الى النص الجديد على انه رحلة النصوص عبر الزمن وهو عملية انتاجية وتداخل نصي، و هذا التداخل ما هو الا تقاطع وتداخل و تنافي بين ملفوظات متعددة لنصوص اخرى[8].

وهذا كله كان الاساس الذي بنت عليه جوليا كريستيفا التناص ثم بعد ذلك بدات رحلة الرؤى للباحثين بعدها ليدلي كل منهم بدلوه ويصور التناص على وفق رؤاه، فهذا (رولان بارت) يؤكد ان كل نص هو تناص و النصوص الأخرى تظهر فيه بمستويات مختلفة، و نجده يؤكد أن التناص نسيج جديد لاستشهادات سابقة ؛ لذا فالتناص قدر حتمي لكل نص مهما كان جنسه [9].

ويأتي (جيرار جنيت) ليتناول التناص بطريقة يضع فيها النص في علاقة ظاهرية او خفية مع نصوص اخرى بطريقة استحضارية[10].

ونجد (ريفايتر) يذهب الى رأي يؤكد فيه ابداعية القارئ وسعة ادراكه في ملاحظة العلاقات بين العمل المقصود بالدراسة واعمال اخرى سبقته او عاصرته [11].

ومع ذلك كله نجد ان رؤية النقاد الغربيين تكاد تكون متفقة على ان التناص هو تداخل فعلي بصورة مباشرة وغير مباشرة للنصوص مع بعضها ببعض،وهذا التداخل يقوم اما على الامتصاص او على انقاض غيرها من النصوص.

واذا ما تجولنا في ساحة النقد العربي وبالأخص الحديث نجد اقبالا مميزا للنقاد العرب على التناص واظهار العناية الفائقة به فتناولوه تطبيقا على النصوص الأدبية. (شعرا ونثرا)، ونجد ايضا من رؤيتهم النقدية للتناص وتعريفاتهم به تكاد تكون متقاربة على الرغم من اختلاف الترجمة له[12].

فالناقد والباحث العربي (محمد مفتاح) يرى ان التناص هو الدخول في علاقة النصوص مع نص جديد تشكل هذا النص باحداثيات جديدة ومختلفة عما سبقه[13].

وهذا امر ضروري ولا بد منه في تكوين وتشكيل النص الجديد ولا مناص عنه، ويعقب ايضا بالنظر إليه كظاهرة لغوية معقدة يصعب ضبطها وتقنينها [14].

ويأتي (محمد بنيس) ليضع لنا مسمى جديد و هو (النص الغائب) الذي ينظر من خلاله الى ظاهرة التناص فيعد النص المحدث شبكه تلتقي فيها عدة نصوص يصعب تحديدها [15].

ويعرف(احمد الزغبي) التناص بناء على آلياته بانه : " ان يتضمن نص ادبي ما نصوصا أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس او التضمين او التلميع او الاشارة او ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص والأفكار مع النص الاصلي، وتندغم فيه؛ ليشكل نصاً جديداً واحداً متكاملاً " [16].

واذا ما انتقلنا الى رؤية حسام فرج نجده يؤكد اتفاق اغلب الباحثين على ان " التناص يعني استحضار نص ما لنص اخر، ويعني كذلك تلك العناصر الموجودة في نص ما وتربطه بنصوص اخرى " [17].

ويطول المقام و المقال لعرض الآراء التي تصف التناص وان ماسبق من قول فيه البغية التي يريدها الباحث عن مقصدية التناص لدى النقاد العرب؛ لان مفهومه عندهم متشابه و ان الجميع قد استسقى معناه من الدراسات الغربية.

التناص الديني:-

ان المنظومة المعرفية لكل فرد منا تبنى وتتشكل من روافد عدة، إذ تعملُ هذه الروافد مجتمعة على تنسيق الاطار المعرفي لشخص ما سلبا او ايجابا ومن الروافد المهمة في تشكيل النظام المعرفي للافراد الرافد الديني الذي يظهر العمق الديني لاي فرد، ويعتمد معرفة مدى العمق الديني للفرد على مدى سيره لأغوار النصوص الدينية وهظمها جيدا وقولبتها في منظومته المعرفية.

واذا ما اردنا معرفة طبقات المعرفة الدينية نجد ان ما يقف في مقدمة هذه الطبقات هي (الكتب السماوية – القرآن – التوراة – الانجيل – والزبور) التي تأخذ حصة الاسد في بناء المنظومة الدينية ؛ لانها ضرورية في اظهار النزعة الاخلاقية التي أكدتها هذه الكتب وبدورها تتشكل في النظام المعرفي لدى الادباء بمختلف طبقاتهم وتوجهاتهم وتظهر جليا في نتاجهم الادبي شعرا ونثرا.

لذا فان التناص الديني واستحضار الكاتب او الشاعر لبعض آيات القرآن الكريم أو اشارات يلمح بها من الكتب السماوية الاخرى وتوظيفها وصهرها في سياق شعره او نثره ؛ دافعا الى تعميق الرؤية في النوع الذي يريد طرحه،او القضية التي يريد معالجتها [18].

ومن هذا المنطق سيقف الباحثان عن مظاهر التناص الديني في اثار ابي زيد الفازازي وبيانها ومعرفة الآليات التي استند عليها في بناء نصوصه الأدبية.

1- التناص مع القرآن الكريم :

اغنى القرآن الكريم المنظومة المعرفية العربية وغيرها من المنظمات المعرفية بثراء معرفي وعلمي وأدبي مميز ومهم ؛ لامتلاكه القدسية الالهية التي امدته بالمعرفة الخاصة بداية الخلق ونهايته فضلا عن ما جرى من احداث وقعت على الامم السابقة وكيف آلت النتيجة الى الواقع الحالي، فهو كتاب الله المنزل، و معجزة نبيه الكريم (صلى الله عليه واله اجمعين) ولذلك فهو من الروافد المهمة للاديب ؛ لانه يرفده بالمعاني والافكار والصور والالفاظ التي تساعد الاديب علي تزيين نصه الجديد وتقوية معانيه ؛ لذا فاننا لا نجد غرابة من اقبال الادباء وغيرهم على حفظ القرآن واستظهاره ؛ لانهم يعدون ذلك من البلاغة [19].

وإذا ما أردنا التنقيب في آثار أبي زيد الفازازي واستخراج الأثر القرآني فيه نلحظ مدى التأثير بالقرآن الكريم وحجيته وبلاغته.

وقد ظهر لنا هذا التأثير في مستويات مختلفة في آثار ابي زيد الفازازي فمنها ما ظهر بشكل مباشر لكنه لا يشكل ظاهرة مميزة في آثاره واذا انتقلنا الى اثر القرآن الكريم من غير مباشر من نجد ان أبا زيد قد افاد في المعاني والافكار والكلمات التي جاءت في القرآن فشكل نصوصه الادبية شعرا ونثرا برونق هذه الافكار والمعاني والكلمات التي دفعت بدلالة النص الجديد نحو الامام، ونجد ان البعد الديني لديه لم يقف عند هذا الحد بل تعداه الى استدعاء بعد ديني اخر في نتائجه فنجده يركز على العبادات من جهة وذكر لشهر العبادة المخصوص عند المسلمين وهو(شهر رمضان المبارك)، كما نجده يقف عند الايام والمعارك التي كان حكما فيصلا في قوه الاسلام وعلو قدره على المشركين وغيرهم.

- **التناص القرآني المباشر:-**

بعد البحث والتقصي في آثار ابي زيد الفازازي (موضوع البحث) نجد أنَّ التناص القرآني المباشر لم يتشكل الا في نص واحد لابي زيد الفازازي من نصوصه النثرية وهي في مخاطبته الصادرة عن الامراء وما يتعلق بذلك ونجد ذلك في قوله:

" وبعد حمد الله الذي جعل المقام العلي ظلا يكنف الانام ويكفيهم، وغيثا يغشيهم مضان الاوام ويرويهم، والصلاة على سيدنا محمد و رسوله الكريم منقذ العباد من اشراك الاشراك ومنجيهم المخصوص وحده بمزية (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم...) وعلى آله وصحبه الكرام....." [20].

ان التأثر بالقرآن الكريم يظهر في المقطع السابق لابي زيد من خلال ايراده لقوله تعالى: " وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم..... " الانفال:33

ويأتي التناص من هنا لدعم ما أراده في نصه النثري؛ لأن أبا زيد أدرك أنَّ المعنى يقوى وتزداد حجيته وبلاغته اذا تم دعمه بالنص القرآني المباشر فقد دفع بالمعنى الى الامام من خلال لفت الانتباه لمكانة الشخص الموجود بينهم و الدعوة الى التمسك به.

- **التناص القرآني غير المباشر :-**

يشكل التناص القرآني غير المباشر الجزء الاكبر في آثار ابي زيد الفازازي وقد تفرقت التناصات وانتشرت في اشعاره ورسائله النثرية ؛لان أبا زيد وظف مقدرته الادبية وسعة اطلاعه وحفظه للنصوص القرآنية وافاد منها في الاخذ من الفاظ القرآن واساليبه، ومعانيه، وقصصه، وهذا ما جعله صفة بارزة من خصائص أسلوبه[21].

وإذا تصفحنا اثار ابي زيد للوقوف على تحديد التناصات غير المباشرة واستخراجها نجد أنَّ أول ما يطالعنا قوله: " فهي لقلوب الطيبين صفا ومروة، مقام سر العالمين طرا، وهاديهم عبدا وصرا، ومنقذهم من اشراك الهلاك، وقد طال ما الفوا العيش ضنكا والدهر مرا....."[22].

إنَّ أول ما يصدع السمع في قول ابي زيد الفازازي ويلفت الانتباه قوله (صفا ومروة) فينتقل السامع واعيا او غير واع الى الحظرة القدسية التي يرنو اليها كل مسلم لتأدية شعيرة الحج.

فهذا الاستدعاء يقع في بعدين مهمين :

الأول: البعد الديني :

لان الاستدعاء شعيره مهمة من شعائر الاسلام وهي مهمة في عمل الحاج واساس في صحة حجه و تلبيته؛ لأن قلوب المسلمين تهفو الى الحضور الزماني والمكاني لتأدي' هذه الشعيرة نجد إنَّ أبا زيد استقبل سمع المتلقي بذكرهما ليقوده عاطفيا ومن ثم يحقق ما يريد من استجابة سريعة لكسب النفوس واقامة الحجة عليها و توجيهها الى الهدف المرجو من الرسالة.

الثاني: البعد التاريخي:

لا يتاخر البعد التاريخي ولا ينفصل عن البعد الديني في هذا النص؛ لأن (الصفا والمروة) تعلقتا في الذاكرة العربية عن طريق الحادثة التي حصلت مع زوج النبي ابراهيم (عليه السلام) وابنه(اسماعيل عليه السلام) عندما تركت ابنها في هذا الوادي وما حصل لها من جهد في الحصول على الماء لولدها و طريقة السعي الحثيث بين

الصفا والمروة مرارا وتكرارا الى ان تحقق ذلك عند قدمي نبي الله إسماعيل (عليه السلام) فاصبحت فيما بعد شعيرة مهمة من شعائر الحج.

فلم يغفل اديبنا ابو زيد الفازازي عن اهمية ذلك البعد فجعل مقدمة رسالته رمزية يهدف من خلالها تأكيد استقرار قلوب المؤمنين وفرحها. وهو هنا يصور البركة النبوية كالصفا والمروة وان الذهاب والاياب اليها هو الملاذ الامن والاستقرار الذي يبحث عنه المؤمنون.

وفي رسالة اخرى له فينتقل الى وصف **رسول** الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالمنقذ والعصمة الوثقى فيقول:

" السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا أبا القاسم سلام من يمد يد الفريق، ويرجو الانقاذ ببركتك نكد الضيق ويتقطع اسفا ويتنفس صعدا كلما ازدلف اليك فريق، وعجزت نحوك طريق، ولا يفتر صلاة عليك له لسان، ولا يجف ريق....." [23].

ان القارئ الى نص ابي زيد السابق يقف امام كم هائل من التراث القرآني من خلال الاشارة للمعاني القرآنية التي تحيلنا اليها الكلمات الموجودة في نص ابي زيد ابتداء

من قوله : " السلام عليك يا محمد" و كلها إشارات لها عمقها الديني الذي يدل على ان الفازازي افاد افادة كبيرة من التراكم المعرفي لديه في تشكيل نصوص نثرية قوية الحجة لاثبات ما يريد.

فنراه في قوله : ويرجو الانقاذ ببركتك ".

فهي اشاره غير مباشرة الى قوله تعالى " هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين " الجمعة (2).

لعبت آلية الامتصاص والتحوير دورا مهما في تكثيف المعنى وزجه في ثنايا رسالة ابي زيد لتحقيق الغرض المرجو من اثبات مكانة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في انقاذ العالم من الضياع و ضرورة التمسك به وبتعاليمه لانه المصداق الحقيقي للنجاة.

وفي رسالة له كتبها لابي بكر بن قسوم* يقول فيها: " وعلى ذلك فلا يأس من روح الله، ولا مفر الا الى الله، فأعني يا اخي اعانك الله على الخير، ووقاك الحاجة الى الغير....." [24].

وهنا يستشعر القارىء حضور النص القرآني من سورة يوسف :

" ولا تيأسوا من روح الله، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون " يوسف(78).

ثم ينتقل في قوله: " كتاب ملتزم الغرض من تعظيمه، ومغتنم الحظ من وصاته وتعليمه،المعد مفخرا للاخرى ببركتي دعائه وتسليمه...." [25].

وهنا يتجلى لنا التناص غير المباشر مع قوله تعالى: " ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد " (القصص85)

وفي قوله: " فكلما ابرمت امرا انحل، وكلما اضمرت عقدا اختل، وهذي حالتي شرحتها، وحاجتي على بناء تلكم الحضرة قد ارحتها....." [26].

و هنا اشارة غير مباشرة الى ان كل ما يسعى اليه الانسان لا يكون الا بمشيئة الله سبحانه و تعالى وهنا يشير الى قوله تعالى : " ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا، الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا " (الكهف 23- 24).

ثم نجد يستحضر قوله تعالى: " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا..." (هود 12) في رسالة قال فيها : " ولن يضيق صدرك المتسع عما كنت ذكرته لك من الاعذار فالحاكم ممتحن باسعاف فل وفلان....." [27].

وهنا نجد أنَّ أبا زيد الفازازي نقل الاتجاه السلبي لمعنى الضيق الى معنى ايجابي ووظفه في نصه يعطي بعدا دلاليا كبيرا لصفة الحاكم وما يجب ان يكون عليه من سعه صدر وحلم مع رعيته.

واذا ما ارتحنا الى اشعار ابي زيد الفازازي في اشعاره نجده قد استوحى معاني جل نصوصه من القرآن الكريم و جمال بيانه ومعانيه فكان يتجاوز في شعره رسم حاله الداخلي النفسي ونزعات الضمير الى رسم الواقع كما في قوله[28]:

فقمت الثم آثار الرسول وقلت اهلا وسهلا كيفما زارا
واستمطر الشوق لما فض خاتمه مدامعا صدن للاسطار اسطارا
ولم امر بحرف منه اقرأه الا تأخرت انصافا واقرارا
وحنيته بعدما وفيت واجبه بالسمع اوسعه حفظا وتكرارا

ان القارئ لابيات ابي زيد يقف مندهشا لبراعة ابي زيد في توظيف معنى لنص قرآني يقدح في اذهاننا بسرعة فائقة الا وهو قوله تعالى: " قال فما خطبك يا سامري، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي" (طه 95- 96)

فمن المؤكد ان استحضار زمن هذه الاشارات القرآنية فيها تحقيق للبعد المعرفي للتناص اذ ينتقل المتلقي الى اجواء الايات القرآنية لتبدو مرأة تنعكس على سطحها صورة الواقع بطريقة ايحائية، وهنا عمد الفازازي الى آلية

التحويل فنجده حول اتجاه النص ومعناه الى بعد اخر، فالنص القرآني ركز على البعد السلبي للقبض من اثر الرسول لكن الفازازي جعله ايجابيا بما تحمل الكلمة من معنى.

وفي اشارة ادبية جميلة نجد الفازازي ينصهر مع الحياة وتجاربها التي تعلمه الحكمة والصبر مستندا الى حائط صلب قوامه الحكمة والمعرفة التي أشار اليها القرآن الكريم في قوله : " حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنه قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي.... " (الاحقاف : 15)

و قوله تعالى : " ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين " (القصص: 14).

كل ذلك تجلى لنا في قول ابي زيد[29]:

وأتتني الأربعـون ومـــا	نقلت عن زله قدما
كلـمـا جددت عدتـــها	جددت لي عدتي ألما
كنت ارجـــو أوافيهـــا	قاطنا من توبة جرما
مصغيا للنصح اسمعه اذنا	قد اوقرت صمما
فأبت نفس قـــد اتـــخذت	خصمها من جهلها حكما

فهذا العمر على وفق الدراسات العلمية هو العمر الذي يصل فيه الانسان الى الذروة في النماء الفكري والعقلي والفازازي افاد من هذا المعنى افادة بالغة فنجده يؤكد هذه الصفات التي لا تكون إلا اذا بلغ الانسان هذا العمر.

ومن كل ذلك نرى ان من ابعاد الآيات القرآنية وما يتصل بها من دلالات على وفق رؤياه الذاتية وما ينسجم مع حالته النفسية.

والملاحظ ان التأثير القوي يظهر ويكثر في شعر الزهد والنصح والارشاد والوعظ ولهذا نجد التأثير القوي للخطاب القرآني في اشعار ابي زيد الفازازي.

وفي مقطوعة له يحض على بر الوالدين بقوله[30]:

اطع مولاك تظفر بالنجاح	وراقبه تحز قصب الفلاح
ودع طرق الخلاف وعد عنها	الى طرق من التقوى فساح
وعامل والديك اذا اسنا	بلين القول او خفض الجناح
ووفهما ولست تطيق برا	بما منحاك في كل المناح
هما كنفاك في لطف وصون	وراعي بالغدو وبالرواح
وما ذخراك لينا في مقال	ولا الواك نصيبا في سماح

يضع الفازازي الدعوة الى بر الوالدين اساسا في بناء نصه الشعري ويشير من خلاله الى مرتبة مهمة من العلو والنجاح و هذه المرتبة لا ينالها الا ذو حظ عظيم من الهداية و السلوك السوي، فبر الوالدين هو النور الذي يسلك به المرء طريقا الى الجنة.

فالابيات السابقة تراكمت فيها اضاءات قرآنية نتيجة العوامل الداخلية التي نشا الشاعر عليها او تحت ظروفها الموضوعية مما تكشف لنا بنية هذا النص الخصوصية وسياقاتها وارتباطاته وتواصله بالقرآن الكريم.

والنص الذي استقى منه شاعرنا قوله تعالى :" وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا معروفا..." (الاسراء 23- 25).

وفي ذم الخمر يقول [31]:

الخمر متلفة لدينك فاحـــذر ودليلة نحو الخنا* والمنكر
وهي الجحيم معجلا و مؤجلا فاثن العنان عن الجحيم وأقصر
كم ورطت في عسرة من موسر كم ورطت في عطته من معسر

يحث ابو زيد في اغلب شعره الناس على فعل الخير واجتناب الفحش من الاعمال والقول لان فعل الخيرات تقربهم من الله تعالى وترفع منزلتهم عنده، ومن خلال المقطوعة السابقة نلحظ ان ابا زيد ارتكز في بنائها وتكونيها على قوله تعالى:" انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه..." (المائدة : 90-91). وجعل هذه الايات اساسا في النصح والإرشاد. فان لهذه السياقات القرآنية الجاهزة دور مهم من خلال توظيفها وتحويرها بشكل طفيف في السياق الشعري للتعبير بالدلالة القرآنية داخل تشكيل النص الشعري[32]. فالفازازي استطاع ان يبني علاقه بين النصين والتصرف بالآية القرآنية داخل نصه الشعري بتشكيل لغوي جديد، فالدلالة ظلت على حالها والفضاء الديني هو ذاته بل جاء التوظيف مؤكدا للدلالة ليبدو تسليط الضوء على النص القرآني واضحا من الاحالة الى واقع النص.

ان التقاطع والتعايش مع النصوص القرآنية يمة اتسم بها الفازازي فيعمد الى الاخذ من النصوص القرآنية معان ودلالات مختلفة بما يتلاءم وحالته الشعورية، و تجربته الشعرية، فيقول في شهر رمضان وفضله وفضل قيامه وصيامه والتزام تعاليم الله و انها كلها تنجي من النار ونتيجتها الجنه والفوز بالرضوان.

وهو يستعمل دلالة المعنى ويجعلها مؤكدة للدلالة القرآنية فيتجه في نصه الشعري ويتوسع ليبدو انه يطوع النص وزمانه لينسجم و دلالة النص القرآني. فيقول[33]:

اعدد لضيفك اهبة الاكرام وتحية (موصلة بسلام)
وتلق أياما له ولياليا بصيام راعي ذمة وقيام
واعكف على الاذكار في انائه ما بين مبتدء له وختام

رمضان شهر الصوم فاغتنم قربه تغنم اجل دعائم الإسلام

....

واكليل مفرق دهره بل تاجه والدرة الوسطى لسلك العام

فاشدد له عقد الوفاء فانما ايامه غرر من الايام

وله مقطوعة شعرية في التوكل على الله يقول فيها [34]:

توكل اذا نابتك يوما ملمة على من له في خلقه الخلق الحكم

وسلم له تقديره هو فضاؤه فبينهما يجري لك الحرب والسلم

ولا ترج كشف الكرب من عند غيره فترجع عنه خائبا ولك الرغم

ضعيفا يرجي من ضعيف اغاثه لقد غلط الادراك وانعكس الفهم وما الحكم

....

وما الحكم الا حكم ربك وحده فاذعن له فالباس من غيره حتم

انها نشوة من الزهد والنصح والحث على الخير يسطرها شاعرنا للمتلقي، وتبنى هذه الاشارات عن نشاط ثقافي مميز داخل ذاكرة الشاعر انعكست على نصه قاصدا المعنى المراد من التوكل على الله.

والتناص القرآني غير المباشر يستحضره الشاعر من قوله تعالى :" قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين " (الانعام : 57).

فثمة اشارة تناصيه يحث الشاعر من خلالها الناس على الالتجاء الى الله بكل ما يستطيعون من قوة ويسلموا وامرهم له.

ويتضح من ذلك كلهم " ان المادة المقتبسة تنفصل عن سياقها لتقييم سياقات جديدة متعددة، و تتخطى حواجز النصوص جاذبة معها تاريخها وتاريخ سياقاتها المتعاقبة"[35].

وتعدد التناصات القرآنية غير المباشرة في شعر ابي زيد الفازازي وتنتقل في محطات كثيرة في اشعاره فتارة يجعل من الاشهر العربية ومكانتها اساسا في تناصاته[36] وتارة اخرى نجده يتخذ من القصص القرآني اساسا في تناصه[37] وتارة اخرى نجده يركز على شعيرة يوم الجمعة فيفرد لها بابا خاصة تكثر فيه التناصات غير المباشرة[38].

واذا ما عدنا الى نثره نرى ان أبا زيد قد هظم في ذاكرته المعاني القرآنية وفهمها فاعاد تركيبها في نصه النثري شافعا فيه لبعض الطلبة فيقول [39]: " و.....والطالب يقنعه البشر وبكيفه من اللب والقشر، لازالت وقدرك مرقى وذكرك بالدعاء له والثناء عليه موفى، ولاهل الحقوق على الناس، يوجبون لك على انفسهم فضلا وحقا ان شاء الله ".

فالتناص القرآني غير المباشر يظهر في قوله :" يوجبون لك على انفسهم...".

وهو تناص مع قوله تعالى :" ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة " (الحشر : 9).

ان " النص صيرورة وتحويل وتجاوز ولا يمكن عنده ماده لها ابعاد ثابتة، انه بابعاده اللفظية تجاوز للواقع، وزعزعة للجمود، وفي هذا تكمن حركته، والنص متقاطع مع سائر النصوص،وقد اعيدت صياغتها اثناء بنائه، فهو فهو بناء زخرفي تتنوع مكوناته وايات القرآن الكريم مصدر من مصادر بناءه بناء يتجاوز الثابت والمألوف،وتصاغ الاية الواحدة صياغات عديدة تتلاءم مع غاية الشاعر "[40].

ويتجلى التناص في اثار ابي زيد الفازازي (شعرا ونثرا)مع التراكيب القرآنية الذي يكتشف عن شبكة من العلاقات المتداخلة و المتلاحمة بصورة مباشرة وغير مباشرة من خلال التغيير الذي يجريه الشاعر في بنية التركيب القرآني سواء كان ذلك امتصاصا ام حوارا ام استمدادا ام تمازجا،وهو من جانب اخر يكشف عن التفاعل الخلاق بين نص الاديب والقرآن الكريم يستند بذلك على التذويب والامتصاص لا مجرد النقل،هذا كله يدل على سعة ذرعه، وتدفق طبعه،وغزارة بيانه ورقة حاشية لسانه.

الخاتمة

تبنى من خلال هذه الدراسة أن الأديب أبا زيد الفازازي يتمتع بثقافة دينية واسعة استطاع من خلالها توظيف النصوص القرآنية بطريقة ادبية داخل نصوصه، وان يعطي لهذا التوظيف بعدا جماليا مميزا وكانه يهدف من خلال ذلك ان يجعل نصفه الادبي يرقى ليصل الى ذروة النص القرآني ومكانته.

من خلال تناصاته استطاع ان يكثف المعاني التي يريد ان يظهرها للقارئ وهذا لأنه متأكد من ان النص من دون اقتباسات أو تضمين للنصوص القرآنية لا قيمه لها.

كما انه يسعى لتأكيد أمر مهم وهو ان هذا التوظيف جاء متناسبا ومتفقا او تجربته الشعرية. ويؤكد ايضا انه افاد من الرؤية الدينية وجعلها اكثر اتساعا في نصوصه مستندا على المستويات المختلفة للنص القرآني.

كما تخلص الدراسة لبيان الاستثمار الادبي للايات القرآنية من قبل ابي زيد الفازازي واشارته الى العديد من المعاني والدلالات القرآنية.

الهوامش

[1]– ينظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المقري ، أبو العباس ، احمد بم محمد بن احمد التلمساني ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر بيروت – لبنان : 4\ 468 ،الإحاطة في اخبار غرناطة لسان الدين ابن الخطيب : تحقيق عبد الله عنان ،ط1، مطبعة الخفاجي بمصر . 1977: 2\ 25

[2]– الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، لابي عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري المراكشي ، تحقيق محمد بن شريفة ود. احسان عباس دار الثقافة واكاديمية المملكة المغربية . : 8\ 542

[3]– نفح الطيب : 4\468

* – القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي. وبنو تجيب من السكون من كندة. جغرافي ورحالة أندلسي. هو من بلنسية أصلا، كما أثبت هوذلك في برنامجه، وقد سقطت بلنسية في يد المسيحيين سنة 488هـ على يدالقشتاليين . ينظر : برنامج التجيبي المؤلف: القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي (ت ٧٣٠هـ) تحقيق وإعداد: عبد الحفيظ منصور الناشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس عام النشر: ١٩٨١ م .

4– اثار ابي زيد : 11

5– ينظر : التناص في الشعر العربي الحديث: حصة الباوي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع عمان، ط، 2009:20

6– ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط1 1985: 15

7– ينظر : علم النص : جوليا كريستفا، ترجمة : زيد الزاهي ، دار توبقال للنشر، الدار لبيضاء ، ط2 ، 1997: 79

8–ينظر المصدر نفسه :21

9– ينظر : نظرية النص : رولان بارت : ترجمة : محمد البقاعي ضمن كتاب افاق التناصية المفهوم والمنظر الهيأة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، 1998 ، 42

10– ينظر : طروس الادب على الادب ، جيرار جنيت ، ترجمة محمد البقاعي ضمن كتاب ؛ افاق الناصية

[11]– المصدر نفسه :134 \ المفهوم والمنظور الهيأة المصرية للكتاب ، 1998: 132

[12]– ينظر : التناص في معارضات البارودي : تركي المعيض ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج9،ع1991:2: 89– 90

[13]– ينظر : تحليل الخطاب الشعري :استراتيجية التناص : محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط4، 2005:121

[14]– ينظر : المصدر نفسه : 123– 131

[15]– ينظر : ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب ، مقاربة بنيوية تكوينية ؛ محمد بنيس ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ،ط2 ، 1985 م : 251

[16]– التناص نظريا وتطبيقيا : احمد الزغبي ، مؤسسة عمونه للنشر والتوزيع عمان ، ط2 ، 1420 : 11

[17]– ينظر : نظرية علم النص رواية منهجية في بناء النص النثري : حسام احمد الفرج ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ط3" 2018: 194.

[18]– ينظر التناص الديني في الترسل الديواني في العصر العباسي الأول : ميعاد الدوري ، دار دجلة عمان ،ط1،2018 م: 100، ينظر أيضا التناص نظريا وتطبيقيا احمد الزغبي: 37

[19]– ينظر الوتر المرقوم في حل المنظوم: ضياء الدين ابن الاثير، تحقيق : يحيى عبد العظيم، الهيأة العامة لعصور الثقافة، 2004 : 180 –181.

[20]– آثار ابي زيد الفازازي:

[21]– ينظر ادب الرسائل في العصر الايوبي القاضي الفاضل انموذجا : سلطان الحريري، أطروحة دكتوراه جامعة دمشق، كلية الاداب ، قسم اللغة العربية ، 2000 : 165

[22]– اثار ابي زيد الفازازي الاندلسي (نصوص أدبية من القرن السابع الهجري جمعها بعض تلاميذه في حياته) تقديم وتحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991: 37– 38.

[23]– ينظر المصدر نفسه : 38

*– أبو بكر بن قسوم شاعر زاهد قصر شعره على الزهد : ينظر الذيل والتكملة : 6\ 43

[24]– ينظر اثار ابي زيد الفازازي :42

[25]– ينظر المصدر نفسه : 43

[26]– المصدر نفسه : 44

[27]– ينظر المصدر نفسه :45

[28]– ينظر المصدر نفسه :50–51

[29]– ينظر المصدر نفسه : 52

[30]– ينظر المصدر نفسه :57

[31]– ينظر اثار ابي زيد الفازاي : 58

* – الخنا : الفحش

[32]– ينظر التناص القرآني في الشعر العماني الحديث: ناصر جابر : 110

[33]– اثار ابي زيد : 62

[34]– المصدر نفسه : 64

[35]– التناص في نماذج من الشعر المغربي : المفيض ، مجلة أبحاث اليرموك ، الأردن مج 2،ع1 ، 2002: 96

[36]– اثار ابي زيد : 63

[37]– المصدر نفسه : 72–74

[38]– المصدر نفسه : 77– 90

[39]– المصدر نفسه : 110

40– التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش ، رسالة ماجستير ، ابتسام أبو شرار، جامعة الخليل، 2007 : 94

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الإحاطة في اخبار غرناطة لسان الدين ابن الخطيب : تحقيق عبد الله عنان ،ط1، مطبعة الخفاجي بمصر :1977 .
- اثار ابي زيد الفازازي الاندلسي (نصوص أدبية من القرن السابع الهجري جمعها بعض تلاميذه في حياته) تقديم وتحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1991.
- ادب الرسائل في العصر الايوبي القاضي الفاضل انموذجا: سلطان الحريري ، أطروحة دكتوراه جامعة دمشق، كلية الاداب ، قسم اللغة العربية، 2000
- التناص الديني والتاريخي في شعر محمود درويش، رسالة ماجستير، ابتسام أبو شرار، جامعة الخليل، 2007
- التناص في نماذج من الشعر المغربي : المفيض ، مجلة أبحاث اليرموك ، الأردن مج 2،ع1، 2002.
- التناص الديني في الترسل الديواني في العصر العباسي الأول: ميعاد الدوري، دار دجلة عمان، ط1،2018 م: 100 ، ينظر أيضا التناص نظريا وتطبيقيا احمد الزغبي.
- التناص نظريا وتطبيقيا : احمد الزغبي ، مؤسسة عمونه للنشر والتوزيع عمان ، ط2 ، 1420

- التناص في معارضات البارودي : تركي المعيض ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج9،ع2:1991
- تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص : محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 2005
- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، لابي عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة ود. احسان عباس دار الثقافة واكاديمية المملكة المغربية
- ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب، مقاربة بنيوية تكوينية؛ محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2 ، 1985 م
- طروس الادب على الادب، جيرار جنيت ، ترجمة محمد البقاعي ضمن كتاب ؛ افاق الناصية
- علم النص : جوليا كريستفا، ترجمة : زيد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار لبيضاء ، ط2 ، 1997
- المفهوم والمنظور الهيأة المصرية للكتاب ، 1998
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 1985-
- نظرية علم النص رواية منهجية في بناء النص النثري : حسام احمد الفرج ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ط3" 2018 .
- نظرية النص : رولان بارت : ترجمة : محمد البقاعي ضمن كتاب افاق التناصية المفهوم والمنظر الهيأة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، 1998 .
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقري، أبو العباس، احمد بم محمد بن احمد التلمساني، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر بيروت – لبنان
- الوتر المرقوم في حل المنظوم : ضياء الدين ابن الاثير، تحقيق : يحيى عبد العظيم ، الهيأة العامة لعصور الثقافة ، 2004.